

مفهوم النقد الإبداعي

Creative Criticism Concept

د. ريمه عبد الإله الخاني

D.RIMA ABDULILAH ALKHANI

هل هناك نقد عصري حديث و الأحدث منه؟

وهل هناك مدارس جديدة وأكثر جِدة؟

أم هي مغالطات والتباسات ومازال على حاله؟

The first rule of good style is that the author has what is said as a critical identity. This is what Schopenhauer says about every good writer, far from unimportant writing, so having what is said is a difficult challenge, if it does not reach the impossibility. And I say here: Since there is no text without errors at all, nor is there any complete criticism, but it is jurisprudence from a single point of view, has experience that makes it offer everything important, then there is a first criticism and a second criticism and a third criticism. As a careful look at the level of critical experience, what is it? It is what we are talking about in this research.

تتردد في المؤتمرات كلمة "نقد حديث"، وتعددت الكتب حول ذلك ، لكنها في الحقيقة، لم تتجاوز المدارس المعروفة بوصفها تطبيقاً، ولم تجدد كما تطلب التجديد، اللهم بعض جهود متناثرة بين السطور بينما هناك أنواع جديدة من النقد الحديث لم يلق إليها بالا ذوو الاختصاص، لأنها كانت لصيقة بتجربة كل ناقد على حدة، حيث يمكن إيجادها من خلال العمل التطبيقي بعيداً عن النظريات. ولو فكرنا بتجربة

الناقد الفذ بورخيس بوصفها استلهاما تطبيقيا، وماتحدث عنه مترجم بعض مقالاته، ناصر الكندي،¹ نقول:

إن القاعدة الأولى للأسلوب الجيد، أن يكون للمؤلف مايقال كهوية نقدية، هذا مايصرح به شوبنهاور عن كل كاتب جيد، بعيد عن الحشو والتكلف، لذا أن يكون لديك مايقال أمام قامته مثله، هو تحد عسير، إن لم يصل إلى الاستحالة. وأقول هنا: بما أنه لا يوجد نص كامل، أو خالٍ من العيوب وكمل القرآن، فكذا لا يوجد نقد كامل، إنما هي اجتهادات من وجهة نظر أحادية، تملك من الخبرة ماتفوضها تقديم مالديها من بضاعة إنما يوجد نقد أول ونقد ثاني ونقد ثالث. كنظرة فاحصة معتمدة على مستوى الخبرة النقدية، أما ماهي؟ فهو مجال البحث بإذن الله.

كلمة (النقد) **criticism** من وجهة نظر النقد أحمد أمين: تعني في مفهومها الدقيق (الحكم) **judgment** وهو مفهوم نلحظه في كل استعمالات الكلمة حتى في أشدها عموماً، فالناقد الأدبي إذن يعتبر مبدئياً كخبير يستعمل قدرة خاصة ومراعاة خاصة في قطعة من الفن الأدبي هي عمل لمؤلف ما فيفحص مزاياها وعيوبها ويصدر عليها حكماً، ولكننا حين نتكلم عن أدب النقد أو الأدب النقدي، أي الأدب الذي يتكون من النقد **the literature of criticism** فإننا نضمن تحت العبارة معنى أكثر من الأدب الذي يصدر الحكم. بل إننا نفهم منها كل الكتلة من الأدب الذي كتب عن الأدب، سواء أكان الموضوع تحليلاً أم تفسيراً أم تقديرًا أم كل هذه مجتمعة. فالشعر والدراما والرواية تتناول الحياة مباشرة، وأما النقد فيتناول الشعر والدراما والرواية بل يتناول النقد نفسه. فإذا عرف الأدب الإنشائي بأنه تفسير للحياة في صور مختلفة من الفن الأدبي، فإن الأدب النقدي يعرف بأنه تفسير لهذا التفسير ولصور الفن التي يوضع فيها.²

¹ ناصر الكندي، ألف ليلة وليلة، مقالاتان لبورخيس، في الترجمة والتأثير الأدبي. ص 7. دار نزوى. 2019.

² أحمد أمين، النقد الأدبي. مؤسسة هندواوي، 2012 صفحة 151

وإن لم يقدم النقد رؤية دقيقة، وفكراً جديداً، فهو نقد أول³، يحوي شيئاً من المدارس الكلاسيكية والانطباعية غالباً أو مزيجاً من بعض المدارس، ومادار في فلكها، أما النقد الثاني⁴ فهو النقد الدقيق الذي يعطي البدائل لتحل محل بعض العيوب، أو النقص لبعض عناصر مهمة في الكتابة، أو طرح وجهات نظر بناءة تفيد النص المكتوب، وهذا ينطبق على النقد الاحترافي، بينما الخط الثالث للنقد⁵، هو النقد الأكاديمي، والذي يتخذ شكل البحث، ويسير وفق منهج وتخطيط محكم، ربما يخص بعض الجهات المؤسسية سواء الثقافية أم التعليمية، وقد تبنته مؤخراً، لأنه يوفي النص الجيد حقه.

محاوّر البحث

1- لماذا النقد الإبداعي؟

2- ما منهج النقد الجديد؟

3- مستخلص

1- لماذا النقد الإبداعي؟

إذا قلنا : إن الاستقلال لغة هو الاستغناء عما سواه، فسيكون النقد الإبداعي شيئاً من هذا، بمعنى، أنه يمثل هوية صاحبه النقدية الخاصة، يتفرد بها، ويقدم من خلالها منهجاً نقدياً خاصاً به، يغني عالم النقد، بحيث لا يكون معلقاً بالهواء، بل مستعينا بما سبقه من مدارس وتجارب، مستعينا برؤيته الخاصة ومنهجها الخاص الذي

³ نموذج بسيط عن النقد الأولي لكتاب مصطلحات نقدية، محمد عزام، قمت به : آخر زيارة للرابط: 2019-8-3 .

<https://www.goodreads.com/book/show/47260267>

⁴ مثال: دراستي عن رواية رحلة إلى المريخ، د. نبيل قوشجي. آخر زيارة للرابط: 2019-8-3 .

<http://omferas.com/vb/t63323/>

⁵ مثال عن النقد المنهجي الذي يستعير صيغة البحث بقدر: رواية ظل الريح لـ كارلوس زافون: آخر زيارة للرابط: 2019-8-3
https://www.goodreads.com/review/show/2897154876?book_show_action=false&from_review_page

يكرس بصمته النقدية العميقة، بحيث يخدم النص المنقود، بعمق وإضافة ورؤية بناءة. سواء مزج بعض المدارس النقدية، أو نقد نصوصا ذات هوية أدبية مختلطة، أو خرج بجديد. لذا سنبدأ من حيث انتهى عالم النقد. وهذا ما يسمى البصمة النقدية الفريدة، وإلا فلن يكون هذا نقدا نبحت عنه، وكما قالها الناقد والمؤلف أحمد أمين:

- يصير النقد خدعة حينما نظل قانعين بما قاله غيرنا عن مؤلف عظيم بدل أن نذهب مباشرة إلى ذلك الأديب، ونحاول أن نتملك أدبه لأنفسنا، وقد كثرت الآن هذه الخلاصات الموجزة من المعرفة في الأدب وفي غيره من أنواع الدراسة.⁶ وعليه فقد نهض بعض الدارسين معلنين وجود نوع من النقد ذو حضور بارز: وهنا تبين الدراسة خالدة صوشي-بتصرف-:

- هناك من يبقى على الدراسة النقدية التقليدية، ومنهم من يفتك منها ليترك خصوصيته واستقلالته النقدية وهذا ما يمنح الناقد سلطة خاصة على النص⁷، وعليه فهذا مدار البحث.

عندما نطالع النصوص الحديثة، فإننا نجد تصنيفها غدا يحتاج تأملا ما، وذلك لأنها بدأت تتخذ لنفسها خطوات حديثة متفردة، أوجبت على النقاد منهجا جديدا لم يبدووا به بعد، ولتوضيح هذه الفكرة نستعين بالناقد بورخيس، حيث ابتكر نوعا أدبيا جديدا، هنا يقول:

- وقد يندمج القارئ والكاتب معا، يجمع بين المقال والبحث والقصة. حتى لانفرد الذات الكاتبة عن ذاتها القارئة، التي تحاكم في نفس الوقت.⁸

تتسم علاقة بورخيس مع نصوص أسلافه من الأدباء والمترجمين، بما يمكن أن يوصف بالندية الأدبية، فهو قارئ متدخل، يقترح دائما صياغات مختلفة للعبارات التي يقرأها حتى تصل إلى نضجها الفني المفترض. لو تأملنا هذا الكلام المهم، لسنفنا الناقد المذكور وسجلناه في قائمة المحترفين، وهي طبقة النقاد الثانية، التي تستنقد وهي تعي بما يجب أن يكون عليه النص، وقد لا يعجب المؤلف ما قدم الناقد من رأي، لكنه حتما، استفز قريحته لمراجعته، فالاحتراف، يملك صورة ناضجة عن النص الذي يعالجه، ويتخيل صورة أفضل له، لأنه متمكن يملك

⁶ أحمد أمين، النقد الأدبي، الصفحة 153

⁷ خالدة صوشي، إشكالية المنهج في الدراسات النقدية، 2017، دراسة لنيل الماستر.

⁸ الصفحة 8 و9 من مرجع ألف ليلة السابق.بتصرف

أدواته بحذافيرها، لغة ورؤيا وخلفية ثقافية بصرف النظر عن مزاولة الكتاب بطريقة ما. ونكمل نظرية بورخيس فنقول بصيغتنا:

إن النصوص الأدبية تعيش متناظرة وفق نسيج كوني كبير، لا يعترف فيه بنظرية الخلق المحض (نقول بوصفنا مسلمين الإبداع وليس الخلق)، ولهذا تجده لا يهتم بأسئلة الزمن التاريخية، متى ومن وأين كتب هذا النص؟، ذلك لأنه متيقن أن النص، لا يتم خلقه، وإنما تتم استعادته من الأبدية البشرية.⁹ وتعقيباً عما ورد أعلاه، ولو رفعنا كلمة "أبدية" التي لا تناسب بشر يفنون ويتأكلون، فنقول:

لو آمنّا بأن النص أسير الظروف التي يحياها المؤلف، وأن النص ابن واقعه تماماً، وعليه لا يمكن محاكمته بأدوات الحاضر تماماً، بل بقدر فهم الظروف التي نشأ فيها، وهذا تفسير لكلمة: استعادته ومن ثم تقييمه مجرداً تماماً فالإنسانية لا تتجزأ عموماً، وإنما تخضع للمنطق عموماً، وللإجادة الأدبية والمشاعر الصادقة ثانياً، النابعة من واقعها. وتغير الواقع وتحركه يدفع لجعله علماً له مقاييس عامة، تساعد على قراءة قديمه وجديده. قال ملتون:

يجب علينا نحن أبناء الجيل الحديث الذين نشأنا بين الطرق الجديدة في التفكير أن نوافق عليه، وفي نفس الوقت يستحيل في اعتقادي أن نوافق على حد استنتاجاته الرئيسية، لست الآن أناقش المسألة العامة عما إذا كان من الممكن جعل النقد الأدبي علماً كما جعل علم النبات الجيولوجيا علمين.¹⁰ وذلك لأن غالبية النقد ابتعد عن النص وانشغل بالتنظيرات العامة، أو الخطابات السجالية والخلافات، فغابت عن تفكيره مسائل النقد ذاته، ومسألة المنهجية بشكل خاص.¹¹ لكن ماكس هوكايمر، يفضل أن يدخل النقد من عالم النظرية، ليحكم عليه جوانبه فيقول:

- النظرية، هي التراكم المنظم للعلم Le savoir بشكل يتيح أعمق وصف ممكن للوقائع.¹²

بكل الأحوال، فانضباط المقاييس، يقدم لنقد محكم الأطراف والجهود، نحن بحاجة إليه فعلاً.

⁹ المرجع لآل ليلة الصفحة 13.

¹⁰ أحمد أمين، النقد الأدبي، الصفحة 164

¹¹ سامي عباينة، اتجاهات النقد العرب، كلية الآداب جامعة جدارا، 2010 في قراءة النص الشعري الحديث. الصفحة 10

¹² ماكس هوكايمر، النظرية النقدية، دار عيون، 1989 الصفحة 5-6

1- ما منهج النقد الجديد؟

إذا عرفنا الكتابة بأنها: عمل تحريضي، يحرض الذات ضد الآخر، وهي في ذات الوقت يحرض الآخر ضد الذات، وقد قالت العرب: من ألف فقد استهدف، إن الكتابة هي الهدف والمنطلق، منها وإليها وليست الذات ولا الآخر إلا نصالا تتكسر على نصال، والمنتصر الوحيد هو الكتابة، فهي الباقي بعد أن يفني الكاتب الفاعل، ويتغير القارئ المنفعل.¹³

يأتي النقد متأخرا عن النص، وقد أسلفنا أن النصوص باتت تأخذ من بعضها البعض وتتلاقح، فهناك المقال القصصي، والقصة المقالية، والخاطرة القصصية، والنقد البحثي الخ... أي أن النقد يجب أن يتطور كتطور النصوص ذاتها، لكنه لم يفعل تماما كما كنا نترقب ونتطر، على الأقل في بلادنا. خاصة لو كان تحت الطلب فسوف ينحو منحى صحفي بحت بعيدا عن المصادقية، والعمق المطلوبين. وعليه فقد وجدت أنه من واجبي بوصفي ممارسة للنقد حينما من الزمن، وضع مالدي من بضاعة، عليها تسهم ولو بالقليل للفائدة العامة. ولو اطلعنا على تجربة: تعتبر خاطرة مقالية بعنوان: في طريق الالعودة للأدب. نجد أن فيها فضاءات شعورية، وانعكاسات داخلية تفيض على النص، قبل أن نصل للغة التقريرية في المقال فإن كانت الخاطرة تعبير عن مكونات النفس وما يدور فيها من صراعات أو حب أو حزن أو حتى ضيق أو ألم أو فرح وسعادة. الخاطرة هي كلام القلب يترجمه اللسان لكلمات. وإن كان المقال عبارة عن جزء مؤلف يعمل على علاج موضوع محدد من ناحية تأثر الكاتب به. وأداة صحفية، يعبر بها عن سياسة وفكر ما، وعن آراء بعض كتابها في الأحداث الجارية. وفن نثري، يبين الكاتب فيه قضية معينة، أو فكرة ما بأسلوب منظم ومشوق يعتمد الكتابة التقريرية والرأي الجازم في سبكه. النص المذكور قد جمع العنصرين وإليكم جزءا منه وبقيته عبر رابط في الهامش: -..... في طريق الالعودة للأدب، تجرد بضائعك بدقة، ترمي مالا نفع منه، تستدرك ماتبقى من عمرك وتتحول بملء إرادتك لعالم استهلاكي خالص، تضمنه بعض ذاتك لئلا تفقدها، ولكن عليك أن تتقن اللعبة جيدا قبل ولوج الحلبة الجديدة..... إن الهجرة الفكرية أكثر ضررا من الهجرة الزمانية والمكانية، التي تغير جغرافية الجسم، وتشعل عواطفه فتجعله يتمسك بتلابيب لغته. طريق الالعودة يبدأ من الصغر عندما لا يجد الطفل هواء وفضاء واسعا من الخيارات الثقافية المحلية ترحب به وترفع من قدره. تضع له سقفا منخفضا،

¹³ د. عبد الله الغدامي، الكتابة ضد الكتابة، ص 7

وعوزا مضحكا، وعالما مليئا بتجار الكلمة.¹⁴ وعليه فقد باتت عملية النقد لاتقف عند الفكرة ومعالجتها بقدر تقييم المعالجة الشعورية، وانعكاسها على اللغة التقريرية للمقال، بحيث تكرر صدق المشاعر مثلا، أو المقدرة على التنفيس، لهموم مثقف يبحث له عن مكان في القمة مثلا...الشاهد والمؤدى مما سلف، أن المدراس الكلاسيكية والانطباعية وغيرها، لم تعد تفي بالغرض أبدا، بل علينا التوغل في عمق النص والدافع لكتابته والهدف من ذلك، وهل لبت الطريقة التي كتب بها الغرض؟. وهذا ما ندعوه النقد الاحترافي الذي يتطلب ناقدنا ذا عين نقدية ثاقبة، يخرج من نقد النص لما وراء النص، وهذا ينطبق على مقاله بورخيس : إن النقد يجب أن يتجاوز الزمانية والمكانية، إلى المحتوى الأكثر عمقا.

ونفهم من هذا الكلام، أن بورخيس يقصد هنا، أن الناقد هو طبيب أدبي بالمعنى الحرفي للكلمة ويبقى النقد الأكاديمي، المصنف في المرتبة الثالثة، أسير المنصات الجامعية والمنابر المؤتمرية وغيرها، وهنا يكون قد اتخذ مسارا ممنهجاً، ذو بصمة خاصة محكمة، بطريقة طرح عميقة بداية، مع الاستعانة بجهود الآخرين الذين تركوا لما بعدهم ما يستأهل الاستعانة به. يؤيد هذا الدكتورة عبير عبد الصادق محمد بدوي، في دراستها بعنوان : النقد الأدبي الحديث، قضايا ومذاهبه فتقول:

النقد الأدبي في مفهومه لا يخرج عن أحد أمرين : التقويم ، والتحليل . والتقويم يكون بإظهار ما في العمل الأدبي من جمال ، وما وراء العبارات من أسرار وإيحاء ، ومدى قدرتها على تصوير مشاعر الأديب ، وعلى نقل هذه الصورة إلى فكر القارئ وشعوره . وأخيراً وضع العمل الأدبي في المكانة الفنية التي يستحقها والحكم عليه بالجودة أو الرداءة ، بالجمال ، أو القبح . وهذا يقتضى . لكى يكون النقد موضوعياً . الإمام بالظروف المختلفة المنوعة ، التي أسهمت في النص الأدبي المنقود ، بالإضافة إلى شخص الأديب ، بيئته ثقافته ، وسائر الملابسات التي يتأثر بها.

والنص الأدبي في عبارة موجزة : هو التعبير عن تجربة شعورية تعبيراً موحياً . وكل كلمة من تعريف النص الأدبي تشير إلى ركن فعال من أركان النقد الأدبي ، كما تشير إلى نوع من العلوم التي يرتبط بها هذا النقد . فالتعبير هو الصياغة وهي تربط النقد بسائر فنون اللغة وأشد الفنون التحاماً بالنقد هو البلاغة ، إذ تلتقى به عند الغاية ، عند البحث عن أسرار الجمال في النص الأدبي.¹⁵

¹⁴ من مقال كتبه، في طريق الالعودة للأدب، مجلة فرسان الثقافة، 28-5-2019

¹⁵ د. عبير عبد الصادق محمد بدوي، أستاذ الأدب المشارك ، بجامعة الأزهر . دراسة، النقد الأدبي الحديث، قضايا ومذاهبه.

لو غضضنا الطرف عما قاله بورخيس عن عدم التفاته لظروف الكاتب ، نجد أن النقد الأحدث يتبنى ماورد بدقة، ويتجاوز له طرح اقتراحات تفيد النص في رتق عيوبه ومحاولة إظهاره بالمظهر الأنسب كما يراه الناقد المحترف، وهو مدار البحث عموماً، لأنه يحمل الهوية الثقافية التي نبحث... فهو يمسك العصا من المنتصف فلاهو أكاديمي يوجه كلماته لشريحة ضيقة من الناس، ولاهو بسيط لايجد صدى لكلماته سوى بعض الكتابات البسيطة التي يستطيع إبراز عضلاته النقدية عبرها. وباختصار أكثر، لا توجد دراسة نقدية على صواب وأخرى على خطأ، وإنما توجد دراسة نقدية أكثر قدرة على التفاعل مع النص وإظهار ما به من مواطن جمال والقوة، أو مواطن ضعف، هذا للنقد البسيط كنقد أولي، وعندما يغدو احترافياً، فسيصبح أكثر عمقا ووضوحاً، فالنقد الأدبي الحديث، نقد أدبي عالمي، أسهم في بلورته وتكوينه ما سبقه من "دراسات نقدية" قديمة، اعتمدت في الأساس على التذوق والحس الأدبي. الناقد الأدبي الاحترافي، دائم التفكير والتوليد المنطقي للصور الأدبية والمواطن الجمالية في النصوص والأعمال الأدبية، مستمرا في عمله وببصمة نقدية فريدة، تستفزه الأعمال الجيدة والسيئة جدا على السواء، فهو لايعرف بين بين، بل يجلد من سوط القيمة الأدبية المميزة، ويستخدم كل ما تعلمه من دراسات نقدية سابقة تمكنه من ترجمة جمال النصوص الأدبية. يبدأ النقد الأحدث مساره ابتداء من مزج المدارس في النقد وصولاً لشط البدائل النصية، المعالجة لنصوص مختلطة النمط، وقد وجدنا اسما قدم تجربة ابتدائية مثل:

الشاعر حسين شرف لجائزة القطيف للإنجاز من بين أعماله الأخرى. ابتداءً بتعريف المصطلح المنهج النقدي وإلقاء الضوء عليه، ثم وضع خطواته ، وانتقى النص المناسب لهذا المنهج، ماراً بالعملية النقدية، وختم بأقوال العلماء في ذلك المنهج .وكان غرضه من ذلك تهذيب الحوارات النقدية ، قائلاً في مقدمته : إن الجديد فيما كتبه أنه قدم الجانب التطبيقي على الجانب النظري مخالفاً بذلك الدراسات السابقة إيماناً منه بأن التطبيق سيكون كفيلاً بالإفهام ، مشيراً إلى أن الجانب التطبيقي نادر الطرح بينما تمتلئ رفوف المكتبات بكتب مختصة بالجانب النظري .من القصائد التي طبق آل شرف عليها الجانب التطبيقي (قصيدة أظن للشاعر نزار قباني)

أخذاً بعين الاعتبار أصول النقد متبعاً منهج (البنوية) في النقد ، وقياساً على ذلك تنقل بين المنهج

(التفكيكي) و(الأسلوبي) و(السيمولوجي).¹⁶

ويبقى السؤال الآن: هل من الأفضل توجيه النقد للبسطاء؟ أو للمهتمين والقراء؟. نستعين على الإجابة بمقاله الأستاذ خليل الجيزاوي :

أين نموذج الناقد الأدبي؟ ولنبحث عن الإجابة في الذاكرة الأدبية، وكم نحن بحاجة لنموذج الناقد الراحل رجاء النقاش، الذي نقل النقد الأدبي من النخبة المتخصصة إلى عامة البسطاء من عامة الشعب الذين يعشقون قراءة الأدب وتدوقه.¹⁷

لقد حض الجيزاوي على التبسيط، وهذا حق، لمن يهتم به، ولكن ألا ترى معي أيها الناقد، أن جل من يهتم بهذا النقد حقيقة هم القراء والكتاب؟، إذن من الطبيعي أن نعيد تقسيم النقد، فيقول الدكتور محمد عبد الحلیم غنيم، تعقيباً على كتاب: مناهج النقد العربي المعاصر للدكتور صلاح فضل: المنهج النقدي والنظرية الأدبية:

يرى د. فضل أن كل منهج نقدي لا بد له من نظرية في الأدب يرتبط بها وينطلق منها، وإجراءات ومصطلحات يعبر فيها عن توافقه مع هذه النظرية. أو اختلافه معها فليس بالضرورة أن يتفق الباحث مع النظرية النقدية التي يؤمن بها تمام الاتفاق وفي كل المواضع فقد يتفق معها في مواضع ويختلف معها في موضع، لذلك فالمفهوم المعرفي للأدب هو النظرية. والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافقه هذه النظرية مع مبادئها ويمارس فاعليته عبر جهاز اصطلاحى يحمل قنوات تصوراتها ويضمن كيفية انطباقها قريبا أو بعدا مع الواقع الإبداعي¹⁸، أى أن هناك أطرافاً ثلاثة هي: النظرية والمنهج والمصطلح، تمثل منظومة متكاملة تبدأ من الإطار الشامل والنظرية وتنتهى إلى التقنية المتداولة التي يستعملها أصحاب المنهج في ممارستهم العملية" وبناء على هذه العلاقة المتماسكة تؤدي التحولات التي تحدث في النظرية إلى تعديل في المنهج والمصطلح، غالبا ما تتم تعديلات المصطلح بطرق الاستعارة في الحقول المعرفية المختلفة، ويرى المؤلف أن التحولات في النظرية الأدبية شهدت ثلاث مراحل أساسية:

1- عندما كانت الفلسفة هي مركز الثقل الموجه لمركزها.

2- عندما كان التاريخ يحتل مركز الثقل

¹⁷ خليل الجيزاوي، مقال: أهمية النقد الأدبي في حياتنا الثقافية، <http://gate.ahram.org.eg/News/772432.aspx> آخر زيارة

للرابط: 2019-8-1

¹⁸ د. صلاح فضل ، كتاب، مناهج النقد العربي المعاصر ، 2012ص 11

3- ثم تنتقل اللغة لتصبح النموذج المسيطر على نظرية الأدب في العصر الحديث.¹⁹

وهكذا يكمن تعدد المناهج واختلافها في تلك التحولات المسيطرة على النظرية الأدبية إضافة إلى أن "النظرية الأدبية الواحدة تسفر عن طرائق ومناهج متعددة في التطبيق وهذه المناهج لها مصطلحاتها ويمكن أن تتبادل الاصطلاح هذا التبادل يضمن لها قدرا من الحرية والمرونة في المصطلح النقدي".²⁰

تكمن المرونة في عالم النقد في ابتكار المصطلح النقدي الجديد، وهو أمر مهم وضروري جدا، بحيث يتيح هذا المفهوم تشكيل النظرية الخاصة لكل ناقد، وهوية تخصه، في مزج المدارس، وممارسة الخبرة النقدية في النصوص المختلطة، التي تمكنه من التقييم بمقدرة وقوة، بقدر ما نقيم حجم الإبداع الأدبي بكل نواحيه، بل إن النص هو من يفرض عليك نوع النقد، وهل يتطلب لفهمه سياقاً خارجياً أو داخلياً، لكي يصبح النص قريبا من الأفهام واضح المعالم، ويدفع لتصور النص الأفضل، يعرف الدكتور عبد الله خضر حمد السياق الأدبي في كتابه: مناهج النقد الأدبي السياق والنسقية بقوله:

فالمناهج السياقية، دراسة النص من الخارج، هذا عن سياق الحال فماذا عن السياق اللغوي أو سياق النص وظروف نشأتها، التأثيرات ومدى تأثيره على من حوله أي أنها تتوسل بوسائل خارجية ليست من داخل النص. بينما المناهج النسقية، هي دراسة النص من الداخل، بعيدا عن السياقات الخارجية، وتأثيرات البيئة،²¹

وبرأي أن دراسته من الداخل بعد الاطلاع على ما يحيط بالنص من ظروف بيئية وخصوصية فكرية للمؤلف تساعد في كشف الغموض فيه، وتفكيك خصوصيته التي ستجعل الناقد يبحر بقوة نحو عمقه. هنا يسعدنا القول، بما أنه لا يمكن لبناء أن يرتفع دون قاعدة مؤسسة، وكذا النقد لا يمكن أن يعلو في الهواء دون الاستعانة بتجارب سابقة، فإن النقد الأحدث يقدم مزيجا فريدا وإبداعا غير مسبوق قدر الإمكان كقيمة إبداعية مضافة، وإن كانت المذاهب النقدية مؤخرا، قامت على إنكار غيرها من المدارس، وإقامة هجوم عنيف على غيرها، فقد باتت الساحة الآن شبه فارغة للنقد البناء العميق والمرن بحيث يمكننا مزج ألوان من النقد، هضمت في معدة أدبية مبدعة، ونصوص خرجت للنور كمذهب فريد، مع ميزة التطعيم بحيث نقول: خاطرة قصصية

¹⁹ الصفحة 13 من الكتاب.

²⁰ رغم نقد المعقب على عدم وقوف الدكتور فضل على توثيق منقل، إلا أنه يشيد بما قدم في الكتاب من جهد، من مقال مناهج النقد العربي المعاصر، للدكتور صلاح فضل، ديوان العرب، كتبه المقال: محمد عبد الحليم غنيم، 2012

²¹ د. عبد الله خضر حمد، مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / لبنان، 2017، الصفحة 19

شعر قصصي الخ.. وعليه فستكون مهمة النقد بناء عليه مزيجاً فريداً كلوحة متفردة، بحيث يملك كل ناقد أدواته الخاصة التي تميزه عن غيره، وهويته النقدية التي تنبأها، ونظريته التي سيقدمها من خلال جهده، لقد غدا علمنا عالم الأفكار الجديدة، والإبداع المتفرد، وهذا باب مفتوح للجميع، نعود لنقول إن النقد الحقيقي ليس هجوماً على سابقه، بل هو تسجيل هدف جديد في طريق النقد قد قالها قديماً تيبوديه:

إن نقد الدعاية الأدبية التي كان يقودها شباب يحرضون على نشر أفكارهم الجديدة، وذلك بإقامة هجوم عنيف على كل ماهو ليس من جماعتهم، سواء في الحاضر أم في الماضي، قد أدى إلى نشوء المذاهب النقدية.²²

لم يعد هذا وارداً حالياً، فقد كان النقد آنذاك يتلمس طريقه للنور، لكنه الآن قد وجد فضاءً أرحب، يساعد ويشجع بل لا يوضع اعتباراً إلا للنباقد الحذق المتقن، العميق النظرة النقدية، وهذا ما أكده سعد البازعي قائلاً:

مسألة العالمية من المسائل التي تثار كثيراً في الثقافة العربية عموماً وفي النقد العربي الحديث ضمن تلك الثقافة في ما يتصل بالنظريات والمناهج الغربية، وهي، مثل مسألة "العلم" أو "العلموية"، مسألة فقدت الكثير من صدقيتها في الفكر النقدي المعاصر، سواء لدى بعض الباحثين غير الغربيين من عرب وغيرهم، نتيجة لعوامل عدة، منها ما وجه إليها من نقد على أساس أنها تقوم على تمركز أوروبي/ غربي لم يعد بالقوة التي كان يتمتع بها أثناء فترات السيطرة الاستعمارية الغربية، ومنها ظهور اتهامات من المناطق التي سبق استعمارها استطاعت أن تزيج ذلك التمركز بإثارة قضايا تمس العالم غير الغربي. وقد أشار جابر عصفور، ضمن آخرين من النقاد العرب، إلى هذا التحول. فهو يؤكد محقاً في إحدى مقالاته "اتساع دوائر المشاركة النقدية على امتداد العالم كله، ودخول المزيد من نقاد العالم الثالث في علاقات إنتاج النقد الأدبي، ومن ثم عمليات توزيعه واستقباله في مداها العام. وذلك على النحو الذي أحال المشهد العالمي للنقد الأدبي إلى مشهد مزاح المركز بأكثر من معنى. "جابر عصفور"،²³ غير أن السؤال هنا: هل كان ما وجه من نقد وما تطور من حركة نقدية مثالية في توجهها، أو في مصدرها، مثل النقد ما بعد الكولونيالي أو ما بعد الاستعماري، كافياً بالفعل لزحزة التمركز الغربي إلى الحد الذي يجعل المشهد النقدي المعاصر عالمياً بحق.²⁴

²² كاولوني وفيلو، ترجمة كيتي سالم، كتاب النقد الأدبي، عويدات للنشر والطباعة السلسلة، 1984 ص 6

²³ د. سعد البازعي، مقال، استقبال الغرب في النقد الأدبي 3-3، 2003

²⁴ سعد البازعي، مقال، استقبال الغرب في النقد العربي الحديث. مسألة العالمية واتساع المشاركة وعلاقة المنهج بالنمو الفكري.

هنا نقول بناء عما ورد، أنه مع ضرورة الاطلاع على المدارس النقدية الغربية، لم يعد واردا التقييد بها بدقة، بقدر ما يجب أن يكون للنقد هويته الخاصة، ومساره الملتصق بنوعية الثقافة وعمقها للناقد ذاته، على أن يكون له هوية محددة، ومنهج واضح ومسار يوطر جهده بالنقدي تحديدا. وذلك بضرورة التفريق ما بين الأدبي والنقد الثقافي، بحيث يملك الناقد أدواته الأدبية إلى جانب الثقافية، فقد أعلن الناقد الكبير عبد الله الغدامي موت النقد الأدبي وحلول النقد الثقافي محله²⁵، وهذه خطوة نحو انهيار النقد عموما، فالنقد الأدبي والثقافي صنوان لانفصال بينهما، فالنص يحمل اللغة والفنية ويحمل الثقافة معا. بمعنى ضرورة التحام عنصرَي القراءة الجمالية والبنوية مثلا، مع نقد الخطاب وكشف أنساقه، نحو التدقيق بالمحتوى المصطلحي، والمحتوى الفكري

3-مستخلص

لقد فوجئت من خلال اطلاعي على ما وجدته من مراجع عن النقد الحديث، تشابها كبيرا في معظمها، و في طريقة الطرح والعمود الفقري لها، فقد اعتمدت على المدارس الغربية، وكل فنها بطريقتها، وشرحها كما رآها كذلك أما أن لنا أن نؤسس مدرستنا النقدية الخاصة بنا؟ أم باتت المدارس تلك قدرا مقدورا؟.

يتلخص العرض البحثي حول أفكار محددة أهمها:

يمكننا تفنيد درجات النقد بالنقد الأولي، ثم الاحترافي، ثم الأكاديمي، فالنقد الأولي يهتم بالناحية الانطباعية أولا، ومن ثم يمكنه مزج عدة مدارس معا، كتتنظير أولي للنص لكنه سينتقل حتما للمرتبة الثانية، عندما يصبح الناقد مختصا، ومتعمقا في النص المدروس، ومنصبا نفسه طبيبا أدبيا، يحسن وضع البدائل للعيوب واقتراح حلول جديدة مهمة، ترفع النص، كوجهة نظر قارئ وناقد وأديب. أما النقد الأكاديمي، فهو نقد ممنهج، يهدف لعرض الجهد للمختصين والأكاديميين ولشريحة ضيقة جدا من الممارسين والباحثين عن تطوير تجربتهم دوما. إن مقارنة نصوص ما بعد الحداثة، لاتتقيد بالمعايير المنهجية، وليست ثمة قراءة واحدة لها بل قراءات، منفتحة ومتعددة.²⁶ وهذا ما كنت أبحث عنهن فقد فات الوقت الذي كنا نقيد أقلامنا فيه بالمدارس المحددة التي ظهرت

²⁵ د. عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 8

²⁶ د. جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي والبلاغة، في مرحلة ما بعد الحداثة. ص 19.

تباعا من خلال خلافها عما قبلها من مدارس، وغدا من المهم أن يتفرد كل ناقد بمدرسته ليشكل هويته الثقافية والنقدية على السواء. وأخيرا:

النقد مهمة وجدانية، رحلة ثقافية ممتعة للجميع، تفضل المحترفين، وتقدر جهد المجتهدين الصادقين في عملهم، تضيف للكتابات الأدبية، وترفع من قيمة عمل الأدباء، عن طريق رؤيتها الخاصة فهؤلاء يوسعون عالمه ويرتقون به لسمااته السابعة، حتى يشمل تطوير الذات لصاحب القلم فيتطابق عالم النقد والتأليف يوما ما، وإن اجتمعا في شخص واحد، بوصفه مؤلفا وناقدا كان هذا من روائع اجتهادات الأدب. وكلما مارسنا سلطتنا في تقييم عمل ما، بوجدان وإخلاص، اقتربنا من عالم النقد الحقيقي العميق رويدا رويدا.²⁷

مصادر ومراجع

- 1- ناصر الكندي، كتاب: ألف ليلة وليلة، مقالاتان لبورخيس، في الترجمة والتأثير الأدبي، دار نزوى. 2019
- 2- د. عبد الله الغدامي، كتاب: الكتابة ضد الكتابة. دار الآداب بيروت 1991
- 3- أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي 2012
- 4- خالدة صوشي، دراسة، شكالية المنهج في الدراسات النقدية، 2017،
- 5- سامي عبابنة، كتاب، اتجاهات النقاد العرب، كلية الآداب جامعة جدارا، 2010 في قراءة النص الشعري الحديث.
- 6- ماكس هوكايمر، كتاب، النظرية النقدية دار عيون، 1989
- 7- د. ريمه عبد الإله الخاني، مقال، في طريق اللاعودة للأدب، مجلة فرسان الثقافة الإلكترونية.

²⁷ من كتابي: مصائب النقد، ص 112-113.

8-د.عبير عبد الصادق محمد بدوي،أستاذ الأدب المشارك ،بجامعة الأزهر.دراسة، النقد الأدبي الحديث،قضاياها ومذاهبه.

7-ويكيبيديا، مناهج النقد الحديث.

8-خليل الجيزاوي، مقال: أهمية النقد الأدبي في حياتنا الثقافية.

9- د. صلاح فضل ، كتاب، مناهج النقد العربي المعاصر ، دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي 2012

10-د.محمد عبد الحليم غنيم، مقال: مناهج النقد العربي المعاصر، للدكتور صلاح فضل.

10-د.عبد الله خضر حمد،مقال:مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/لبنان، 2017

11-كاولوني وفيلو، كتاب: النقد الأدبي. ترجمة كيتي سالم.عويديات للنشر والطباعة السلسلة، 1984.

12-سعد البازعي، مقال: استقبال الغرب في النقد العربي الحديث . مسألة العالمية واتساع المشاركة وعلاقة المنهج بالنمو الفكري.

13-د. عبد لله الغدامي، النقد الثقافي. كتاب، المركز الثقافي العربي، 2005 .

14- د. ريمه الخاني. كتاب،مصائب النقد. الحقوق محفوظة، 2018.

15-د. ريمه الخاني، طريق الالعودة للأدب، مقال.

omferas@gmail.com

مجلة سيبوية